

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

اعتدت فيما تقدم من مجلدات ان يكون موضوع التوطئة الاساسي الحديث عن حياة المؤلف أو المؤلفين ، وهذا ما سوف أبدله في هذا المجلد ، ذلك ان موضوعه الاساسي أشبه بمذكرات شخصية فيها ترجمة لحياة المؤلف وتعرف بوسطه وعصره ، وهذا المؤلف هو الفارس العربي ، الشاعر الأديب والسياسي أسامة بن منقذ ، الذي غالبا اذا ما أريد التعريف به قيل « صاحب كتاب الاعتبار » .

ويعد كتاب الاعتبار على رأس ادبيات عصر الحروب الصليبية وأهمها ليس لما حواه وانفرد به من مواد اخبارية ثمينة جدا فحسب بل لتمييزه باللون العربي النقي ، فنحن لدى تعاملنا مع نصوص المصادر العربية للحروب الصليبية نلاحظ أنها ركزت على افعال الحكام والقادة الذين كان جلهم من أصل غير عربي ، تركماني أو كردي أو غير ذلك ، وهمشت دور العناصر العربية السياسية والقبلية ، حتى باتت صورة الصراع أشبه بصراع بين قوى أجنبية مسلمة من جانب ومسيحية من الجانب الآخر على بلاد الشام ومصر والجزيرة .

وصحيح ان القوى السياسية العربية من التكتلات القبلية قد تأثرت كثيرا إثر قدوم السلاجقة ، وهو ما شاهدناه في الجزء الأول من هذه الموسوعة ، لكن الآن من خلال ما كتبه أسامة مع معطيات أخرى يمكننا التأكيد على ان دور القوى العربية والتكتلات القبلية ظل فعالا واساسيا ، واذا ما أضيف لهذا حقيقة كون سكان بلاد الشام عربا في المدن والارياف . هنا يمكننا شطب مقولة الصراع بين

قوتين أجنبيتين ، واستبدالها بأخرى بأن الصراع بين غزاة أجنب
في كل شيء قدموا من أوروبا وبين أصحاب البلاد العرب .

وحتى تزداد الفائدة من كتاب الاعتبار صنعت له مدخلا وخاتمة ،
أودعت في المدخل عدة تراجم لاسامة ، كما أودعت في الخاتمة
ترجمتين لاثنين من الاعلام الذين كان لاسامة بهم علاقة مباشرة .

وعلي أن أشير إلى أن كتاب الاعتبار نشر اكثر من مرة ، اعتمادا
على مخطوطة وحيدة مبتورة الاول كانت موجودة في مكتبة بير
الاسكوريال قرب مدريد في اسبانيا ، ومن أشهر الذين عملوا على
تحقيق هذا الكتاب فيليب حتي ، وقد نشرها في برنستون بالولايات
المتحدة الأمريكية عام ١٩٣٠ ، وقد بذل الدكتور حتي جهودا كبيرة
لدى تحقيقه لنص الكتاب ، لكنه اخفق في كثير من الاماكن في
الوصول الى القراءة الصحيحة ، وتميز الدكتور حتي بأنه أودع في
الحواشي رسم الكلمات التي لم يتوصل الى قراءتها بالشكل الصحيح
أو شك بها ، وكان لهذا فوائده الجلية ، لأن مخطوطة الكتاب
مفقودة الآن ، وبعد الدكتور حتي أعيد نشر الكتاب كاملا أو
مختصرا اكثر من مرة وفي أكثر من مكان ، ومع هذا ظلت النجاحات
هي هي .

ويخيل لي أنني في عملي الآن تمكنت من تقويم النص وإزالة
مشاكله ، وساعدني على ذلك عدة عوامل ، بينها الانتماء الجغرافي ،
والممارسة الطويلة والخبرة المعمقة بكتب التراث العربي ،
ولتخصصي الآن وانقطاعي شبه الكامل للعمل في أحداث الحروب
الصليبية .

ان لغة أسامة في كتابه « الاعتبار » واصطلاحاته مازالت قائمة
حتى الآن في بيئة مدينة حماه ، وهي مدينتي التي نشأت بها ، فضلا
عن أنني عشت عدة سنوات في المنطقة القريبة من شيزر ، وكان لهذا
فوائده .

- ٥٤٤٩ -

الكتاب الآن بين يدي القراء جميعا ، وأملني كبير في أن أكون قد
وفقت في عملي ، والله المستعان وله الحمد والمنة ، ومنه جل وعلا
أسأل دوما التوفيق والسداد .

وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

سهيل زكار

دمشق ٩ . ٤ . ١٩٩٥